الطفل والقراءة الإبداعية

أ.د. بركات محمد مراد

أستاذ الفلسفة الإسلامية

قسم الفلسفة والاجتماع كلية التربية ـ جامعة عين شمس

الطفل والقراءة الإبداعية

تمثل القراءة وتنمية ميولها لدى الأطفال خلق اتجاهات إيجابية نحوها ونحو مختلف المواد المقروءة ، وعلى وجه الخصوص نحو الكتاب والمجلة والجريدة مطلبا تربويا وثقافيا نظرا لما يتسم به عالم اليوم من انفجار معرفي سريع ومتغير . لم يعد التعليم الرسمي كافيا لملاحقته، ومن ثم فقد صارت التربية الذاتية والتعليم الذاتي والتثقيف الذاتي توجهات أساسية تمكن الأطفال والمراهقين من الاستمرار فى تثقيف أنفسهم وتعليم أنفسهم . وتنمية مهارات القراءة والميل نحوها والاتجاهات الإيجابية نحو الكتاب من أبرز مقومات لجوء الشخص نحو التثقيف الذاتي المستمر.

ويعد ميدان تعلم القراءة من أهم ميادين التعليم إن لم يكن أهمها على الإطلاق . ذلك أن القراءة وسيلة الإنسان فى كسبه المعرفة والمعلومات. وهي النافذة الواسعة التى يطل منها على ميادين المعرفة المختلفة. ولهذا لقيت القراءة اهتماما يفوق الاهتمام الذي لقيه أي موضوع آخر من موضوعات التربية ، سواء فى مصر أو أوالولايات المتحدة الأمريكية أو فى غيرهما من المجتمعات المتعلمة.

وغالبا ما يحكم على مدى نجاح المعلمين والمدارس من قدرتهم على تعليم الأطفال القراءة وقد اتفق على أن القدرة على القراءة الجيدة هي أساس النجاح فى المدرسة وفى الحياة اللاحقة (١) لأن النجاح فى المواد الدراسية الأخرى والتقدم فيها يعتمد أساسا على القراءة ، فمن المعروف أن الطفل الضعيف فى القراءة ضعيف فى المواد الدراسية الأخرى، وتخلفه فى القراءة يترتب عليه تخلفه فى غيرها من المواد ، ومن هنا كان للقراءة الأهمية الخاصة.

وكثيرا ما تساءل المربون والباحثون فى مجال التربية وعلم النفس عن السن المثلى التى يكون فيها الطفل مستعدا عقليا وجسديا لتعلم القراءة ، وكانت القضية الأساسية محاولة معرفة

هل كان من الضروري تدريس هذه المهارة للأطفال قبل الدخول إلى مرحلة التعليم الإبتدائي بفترة طوية أو فى بدايتها.

ومن الواضح أن من أهم الأهداف التربوية والتعليمية فى الوقت الراهن توجيه الأطفال إلى الكتب ، والتقريب بين الطفل والكتاب حتى تنشأ بين الأطفال من الصغر وبين الكتب صلة دائمة واتجاهات إيجابية٠ ولذلك فلم تعد مهمة الوالدين والمعلمين قاصرة على تعلم الأطفال كيف يقرؤون ، وإنما الأهم من ذلك جذبهم إلى القراءة ، وتحبيبهم فيها وتعويدهم عليها وغرس عادة القراءة لديهم من الصغر.

وقد دللت الدراسات الحديثة التى أجريت حول قراءات الأطفال وميولهم القرائية واتجاهاتهم نحو القراءة والمواد المقروءة على الدور الحيوي والمحوري الذي تلعبه الأسرة فى خلق الاتجاهات الإيجابية نحو القراءة والمواد المقروءة والميل لها ترتبط جميعها أرتباطا وثيقا بكافة الجوانب المعرفية والثقافية التى تحيط بالطفل سواء فى المنزل أو بدار الحضانة أو المدرسة.

وبعد التطور والتقدم الكبير الذي أحرزه علم النفس بشكل عام ، وعلم نفس الطفل على وجه الخصوص ، خلال النصف الأخير من القرن المنصرم على الأقل ، أصبح من الهام والضروري ـ وربما من الحتمي ـ أن يتعرف كل من يتعامل مع الطفل الصغير ويحاول تعليمه أو تثقيفه والتأثير عليه أو حتى الترفيه والترويح عنه بنجاح وفاعلية ، على أهم التوجهات والأسس والمبادئ التى يجب مراعاتها عند التوجه له٠ بالإضافة إلى ذلك أصبح من الضروي كذلك ان يتعرف جميع هؤلاء على معايير النمو النفسي للأطفال فى مختلف جوانبه (الجسمية والعقلية واللغوية والانفعالية والاجتماعية وغيرها) وعلى الخصائص المميزة لهم عند مختلف المراحل والأعمار.

(١)

ويرجع السبب فى ذلك لأن إعداد جميع المواد التعليمية والثقافية والترفيهية التى تقدم للأطفال اعتمادا على المعلومات السيكولوجية السابقة٠ ومخاطبتهم والتوجه لهم بمواد مناسبة

لمراحل نموهم وملائمة لميولهم وحاجاتهم ، ولما يتوافر لديهم من عمليات عقلية وقدرات لغوية ، يمّكن من يتوجهون للأطفال من الوصول لهم دون عناء ، ويحبب الأطفال فى المواد المقدمة لهم ، ويجعل استفادتهم منها استفادة حقيقية وباقية.

و يحتل الكتاب مكانا متميزا بالنسبة لثقافة الطفل عند مختلف الأعمار والمراحل ، ويشكل الكتاب ركيزة من ركائز المعرفة رغم منافسة وسائل الإعلام له ، فالكتاب يقدم المعرفة الجادة والثابتة التى يستطيع الفرد الرجوع إليها وقتما يشاء ، كما يستطيع التحكم فى الوقت والجهد الذي يحدده الكتاب ، مما يمنحه القدرة على التركيز والاستفادة والتفكير والتأمل ، بالإضافة إلى دوره فى تنمية الثروة اللغوية وإثارة الخيال إلى جانب امكانية الاستفادة منه فى أي مكان وزمان(٢).

وقد استخدم مصطلح "الاستعداد للقراءة" أو"الاستعداد القرائي" عام ١٩٢٥م بمعنى مدى قابلية الطفل واستعداده لتعلم القراءة ، وظهر موازيا لهذا المصطلح مفهوم أن هناك عملا تربويا تمهيديا ينبغي الشروع فيه قبل أن يبدأ الطفل الدخول فى رسميات البرامج القرائية المدرسية(٤).

ولعل من أهم المؤشرات التى جعلت المربين يهتمون بمدى استعداد الطفل لتعلم القراءة الرغبة فى منع الطفل الذي يجبر على الانتظام فى البرامج القرائية الرسمية قبل أن يكون مستعدا نفسيا وجسديا لها ، أن يخفق فى تحقيق تقدم ملموس فى اكتساب مهاراتها ، وربما يؤدي به ذلك إلى الشعور بالإحباط ، وكراهية القراءة بصورة عامة ، ولهذا درجت معظم الدول على تحديد عمر زمني معين للسماح للأطفال ببداية البرامج القرائية النظامية(٥).

ففي روسيا الاتحادية والدول الإسكندنافية ، مثلا ، يبدأ فى تدريس القراءة فى سن السابعة ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية ومعظم الدول الأوربية يبدأ فى السادسة ٠ أما فى إنجلترا واسكتلندا فيسمح للأطفال بالانتظام فى البرامج القرائية فى سن الخامسة وفى بعض الأحيان فى الرابعة(٦).

ومن هنا يؤكد الباحث"محمد سالم" أنه من خلال المشاهدات والممارسات والدراسات تبين أن العمر الزمني لا يصلح وحده مؤشرا حقيقيا للحكم على مدى استعداد الطفل لتعلم القراءة

، إذ وجد مثلا أن عددا كبيرا من الأطفال فى سن الخامسة يمكنهم الاستمرار فى برامج القراءة بنجاح تام ، وأن عددا ممن هم فى سن السابعة قد يخفقون فى تعلم القراءة.

ولذلك فقد أتجهت الأنظار نحو الذكاء بصفته من العوامل المؤثرة فى معظم الأنشطة السلوكية ، فبدأت البحوث منذ العشرينات من القرن العشرين فى محاولة جادة لمعرفة الصلة بين الذكاء والقراءة ، فوجدت علاقة إيجابية تصل إلى(٦ و.) بين الذكاء والنجاح المبكر فى القراء.

وقد أيدت صحة هذه العلاقة البحوث والدراسات التى أجريت فى الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين خاصة بعد تطوير اختبارات القراءة(٧) ، إذ صار العمر العقلي هو المؤشر الحقيقي لمعرفة مدى استعداد الطفل للانتظام فى برامج تعليم القراءة٠ واتضح للباحثين فى هذا المجال أن الطفل الذي يبدأ فى تعلم القراءة فى عمر عقلي يبلغ ست سنوات ونصف السنة ، فإنه لا يجد صعوبة فى مواصلة تعلمه للقراءة(٨)٠ ويعتقد أن الطفل الذي عمره العقلي خمس سنوات يمكنه النجاح فى البرامج القرائية إذا توفرت له وسائل وأساليب وأدوات غير تلك التى تستخدم فى الظروف العادية.

ونظر لأن الكتاب الذي يقدم للأطفال سن ما قبل المدرسة ، هو أول لقاء للطفل مع الأدب والفن والعلم ، فهو يستطيع أن يلعب دورا هاما فى تقديم الخبرات الأولى للقراءة والتذوق الفني والجمالي للطفل ، بالإضافة إلى ذلك فالكتاب المقدم للطفل عند هذه المرحلة العمرية يمكن أن يكون أداة هامة

من أدوات الترفيه والتثقيف التى يمكن ـ لو أحسن إعدادها ـ أن تساهم مساهمة فعالة فى تفتح عقل الطفل الصغير على العالم ، وتنمية الميول القرائية لديه وجعله ينظر للكتاب بشكل عام على أنه شيء محبب قادر على تسليته وإمتاعه وإفادته .

نتيجة لذلك فمن أولى الأمور وأهمها ان تراعي عند إعداد هذه الكتب ـ الكتب الأولى فى حياة الطفل ـ اختيار موضوعاتها وموادها والرسوم بها وإخراجها ، محددات نمو الأطفال فى مختلف جوانبهم ، وأن تحقق هذه الكتب الحاجات النفسية والأساسية للأطفال عند هذه الأعمار ، وتتوافق مع ميولهم ومستوى نموهم اللغوي والعقلي .

وبسبب التقدم والتطور التكنولوجي والعلمي المعاصر الذي وقع فى إعداد وإخراج وتصميم كتب الأطفال بشكل عام وكتب الأطفال سن ما قبل المدرسة على وجه الخصوص ، وهو التطور الذي أدى إلى ظهور أنواع جديدة تماما من الكتب لم تكن معروفة قبل ذلك٠ أصبحت تتوفر اليوم العديد والعديد من الأنواع المختلفة ذات المستوى المتميز والراقي من كتب الأطفال ولعبهم، عند مختلف مراحل نموهم(٩).

ومن النتائج المهمة التى توصلت إليها الدراسات والبحوث فى هذا المجال ان استعداد الطفل للقراءة لا يعتمد على عامل واحد فقط ، وإنما على عوامل كثيرة متداخلة ومتشابكة منها : النضج العقلي والإدراكي ، والخبرة الشخصية ، والتمييز السمعي والبصري ، والنضج اللغوي ، والنضج الحسي ، والصحة والخلو من الاضطرابات العصبية ، والاهتمام والرغبة فى القراءة ، والنضج الاجتماعي والانفعالي(١٠).

ولكن هناك افتراضا سائدا وسط التربويين ، هو أن النضج الإدراكي والعقلي الضروري لتعلم القراءة يتحقق فى مرحلة متأخرة من الطفولة ، وأن الأطفال الذين يتعلمون قبل المدرسة قليلو العدد وعادة ما يكونون من الأذكياء ، ومعظمهم من البنات ، وينتمون إلى أباء مثقفين لا يألون جهدا فى توفير المادة القرائية المناسبة التى تجعل اللغة غنية كما وكيفا(١١).

ويؤكد هذه النتائج الباحث"البجة" حيث يشير إلى أن تلاميذ الصف الأول الابتدائي يوجد من بينهم فروقا فى الخبرات السابقة ، والمحصول اللغوي السابق ، والبيئة ، والثقافة ، والنضج العقلي والجسمي والاجتماعي ، وهناك من قد أمضى مدة فى مدارس الحضانة دون أن تتاح لهم هذه الخبرات.

ولذلك وبناء عليه ، فإن الباحث"محمد سالم" يرى أن هذه الفروق تعني بالتأكيد وجود فروق متباينة بينهم فى درجة الاستعداد ، ومع هذه الفروق الواضحة فإنه من المعروف أن المدارس تعامل هؤلاء الوافدين جميعا وكأنهم فئة متجانسة مما ينجم عنه عدم بلوغ بعض التلاميذ المستوى المطلوب ، ومعنى هذا انتقال بعض التلاميذ إلى مرحلة أعلى دون أن يصلوا إلى مستوى الآخرين ، فيزدادون تخلفا عاما بعد عام ، ولذا فإن المربين يقررون أن التلاميذ يختلفون

فى درجة استعدادهم لعملية التعليم ، وعليه ينبغي أن نتعرف مدى استعداد كل منهم ومحاولة تنمية هذا الاستعداد بشتى الطرائق والوسائل التربوية المتاحة ، وألا نسرع فى تنفيذ مناهج تعلم القراءة إلا بعد ان يبلغ التلميذ درجة مناسبة من الاستعداد.

وهذه الرؤية التربوية والتعليمية صحيحة حيث أنه صار من المبادئ والمسلمات الأساسية فى علم نفس النمو أن معدل النمو النفسي للأطفال فى مختلف جوانبه يختلف ، وأن لكل طفل معدله الخاص فى النمو ، مما يترتب عليه وجود فروق فردية كبيرة بين الأطفال عند نفس الأعمار الزمنية وترجع هذه الفروق بطبيعة الحال لعدة عوامل فردية كالجنس والذكاء ، كذلك لعدد من العوامل .

الموجودة فى البيئة المحيطة بالطفل مثل المستوى الاقتصادي الاجتماعي لأسرة الطفل وطبيعة البيئة الحضارية التى ينشأ فيها وغيره.

ويجب على من يتوجه للأطفال أن يعي وجود مثل هذه الفروق الفردية بين الأطفال ، ولا يطالب الطفل أو يتوقع منه إلا ما يستطيعه فى حدود إمكانياته وقدراته الخاصة ، كم يجب مراعاة الفروق بين الجنسين وبين الأطفال بالمستويات المختلفة والبيئات المتباينة ، حتى تصل المواد المقدمة لمختلف فئاتهم ويكون لها معنى وأهمية بالنسبة لهم(١٣).

ولذلك لابد لمن يعدون للطفل المواد المقروءة والمكتوبة سواء التثقيفية أو التعليمية أو الترفيهية ، وتساعدهم على القيام بتلك المهمة بطريقة ناجحة وفعالة ، من معرفة كل ما يتعلق بالنمو المعرفي للأطفال ٠ وقد أكدت الدراسات والنظريات الحديثة فى هذا المجال على أن النمو المعرفي للطفل يمر بعدد من المراحل التى تختلف كل منها عن الأخرى فى خصائصها النوعية ، وفى نوع الأبنية ، والعمليات العقلية المنطقية التى تتوفر عندها ، نتيجة لذلك تتصف عقلية الطفل خلال كل من هذه المراحل ببعض الخصائص والسمات التى يكون لها أبلغ الأثر على سلوكه وعلى كل ما يستطيع فهمه وتمثله من مواد.

الأطفال والميول القرائية : يؤمن معظم المربين والمتخصصين فى مجال ثقافة الطفل بأن الميول القرائية للأطفال Reading Interests تقف فى القمة من المعايير التى حددت ميولهم

لما يقرأون. وقد كشفت الدراسات التى أجريت حول الجوانب المختلفة للميول القرائية للأطفال أنهم يعرفون إلى حد بعيد ما يريدون أن يقرءوه، وأن لديهم شعورا محددا بالنسبة للمواد المقروءة فى أذهانهم بمواصفات خاصة ومعايير للحكم عليها . كما دللت تلك الدراسات على أن حجم قراءات الأطفال لمواد وموضوعات يميل لها ويقبل عليها أصبحت شبه مؤكدة.

ومن شأن معرفتنا بالمواد والموضوعات التى يميل إليها الأطفال بالمرحلة الابتدائية أن تقدم ولو مؤشرات تقريبية لنوع المواد والموضوعات التى يحتمل أن يميل لها الأطفال دون هذه السن(١٤) . وعلى الرغم من عدم كفاية ميول الأطفال القرائية، كمعيار وحيد يبني عليه الحكم بصلاحية المواد المقروئة التى تقدم للأطفال عند مختلف الأعمار ، ومن الضروري أن تكمل هذه الميول وتجمع بينها وبين ما هو متعارف عليه من أسس تربوية يعتمد عليها عند تخطيط وإعداد المواد التربوية والثقافية للأطفال ، إلا أن جميع الخبرات والدراسات توضح ضرورة ألا تغفل ميول الأطفال القرائية عند إعداد وتقديم المواد المقروءة للأطفال.

وتضيف الدكتورة ليلى كرم الدين(١٥) ، بالإضافة إلى ذلك يجب الاعتماد على ميول الأطفال القرائية عند اختيار طرق تقديم المواد لهم سواء أكانت مواد تربوية ترغب فى تقديمها لهم ، أم مواد ترفيهية تعد لهم ، بحيث تقدم هذه المواد للأطفال فى القوالب والصيغ والطرق التى يفضلونها والتى تجذب انتباهم لتلك المواد وتحافظ عليها .

ويكفي تقديم مثال واحد لتوضيح المقصود ، فقد كشفت الميول القرائية للأطفال عند مختلف الأعمار خلال مرحلة التعليم الأساس أن هؤلاء الأطفال يميلون للكتب القصصية ويفضونها على غيرها من المواد المقروءة ، نتيجة لذلك ينصح بإعداد كافة المواد التربوية التى نرغب فى تقديمها للأطفال كالموضوعات التاريخية والدينية والاجتماعية ، وحتى العلمية فى هذا القالب والشكل القصصي المفضل لهم. فى مثل هذه الحالة يمكن الأطمئنان إلى أننا بذلك نكون قد ساعدنا وبشكل غير مباشر على تعليم الأطفال لمعلومة ما واكتسابه لقيمة أو اتجاه إيجابي أو نموذج لسلوك أو مفهوم علمي ، كل ذلك من خلال مادة يحبها الطفل ويستمتع من قراءتها وتساعده على تحقيق بعض حاجاته النفسية.

الأسرة وتنمية الميول القرائية : وقد بينت الغالبية العظمى من الدراسات والأبحاث الحديثة ، أن الدور الأساس لغرس عادة القراءة وتنمية الميول القرائية للأطفال يقع على عاتق الأسرة إلى جانب ما يمكن أن تقوم به كل من المدرسة والمكتبة من أدوار مكملة للمحافظة على هذه العادة وتنميتها .

فقد بينت دراسات حديثة عديدة أن هناك علاقة قوية بين درجة ونوع الارتباط المبكر Early Attaichment الذي يتحقق للطفل مع أمه أو من يرعاه فى طفولته المبكرة وميوله القرائية واتجاهه نحو القراءة ، حيث كشفت هذه الدراسات أن الطفل الذي يقيم علاقة حميمة وأمنة مع أمه يكشف عن ميول أكبر للقراءة بعد ذلك بصرف النظر عن درجة ذكائه أو حجم التدريب الذي تلقاه استعدادا للقراءة قبل دخول المدرسة .

ودللت عدة دراسات على الدور الهام للأسرة ، وبعد ذلك الحضانة وروضة الأطفال فى إعداد الطفل وتهيئتة للقراءة وزيادة استعداده لها قبل دخول المدرسة ٠ فمثل هذه الخبرات الثرية التى يمارسها الطفل بمساعدة أمه كالتلوين والرسم ، واستخدام القلم والورق وتصفح الكتب ومتابعة القصة عن طريق الكتاب المصور مع رواية الأم لها ، من شأنها أن تساعد على تكوين اتجاه إيجابي لدى الطفل نحو الكتاب والقراءة ، مما يجعله بعد ذلك يحب الكتاب وينجذب له ولكل ما يقرأ ويستمتع فى قضاء وقته فيها ، كما أن البيئة الثرية بكل مكوناتها ومثيراتها من كتب مصورة ومجلات وألوان وخبرات سارة تساعد جميعها على جذب الطفل للقراءة ، ويمكنه توفير المواد المقروءة من متابعتها بمفرده ومحاولة قراءتها واستكشاف ما بها.

ولا ننسى الأثر الكبير للسلوك القرائي لأعضاء أسرة الطفل ورفاقه كذلك ، بالإضافة إلى اهتمام الوالدين بقراءات الطفل ومتابعتها ، على ميول الطفل القرائية ٠ فالطفل الصغير يتعلم أفضل وأبقى أنواع التعليم عن طريق النموذج ، ويكّون كثيرا من العادات والاتجاهات عن طريق التقليد وبالذات تقليد بالغ يحبه الطفل ويحذو حذوه(١٦).

ثقافة القراءة والكتابة : إن مصطلح "لترسي"Literacy يستخدم للدلالة على معرفةالقراءة ٠ لكن هذا المصطلح قد تم توسيعه ليشمل القراءة والكتابة ، ولذلك أصبح يعني فىالوقت الحاضر "القدرة علىالإلمام بالمهام المعقدة باستخدام القراءة والكتابة المرتبطة بعالم القراءة والحياة خارج المدرسة"(١٧) ٠ ويعرّف المعلمون هذا المصطلح تعاريف مختلفة ، حيث يعتقدون انهم سيحتاجون إليها فى القرن الحادي والعشرين ، فاعتمادنا مثلا على الراديو والتلفاز فى نقل الأفكار قد نبهنا إلى أهمية" اللغة الشفهية" ، وهي القدرة علىالتعبير وفهم اللغة المتحدث بها.

ومن هذه التعاريف : القراءة والكتابة المرئية VIcualiteracy ، ويعني القدرة علىابتكار المعنى من خلال الرسوم الإيضاحية ، وهذا النوع من تعليم القراءة والكتابة يلقى اهتماما بالغا٠ وقد استخدم مصطلح القراءة والكتابة Literacy ـ كما يذهب إلى ذلك الباحث محمد سالم (١٨) ـ استخدامات مختلفة ، وذلك من خلال الحاسب الآلي ، ومن خلال العلوم والرياضيات ، حيث يتكلم الطلاب النصوص العلمية والرياضية ٠ وفي عام ١٩٨٧م دعا هيرسش Hirsch إلى تعريف آخر لهذا المصطلح يدعى ثقافة"القراءة والكتابة Cultural Literacy " وذلك لتعريف الأطفال الأفكار العظيمة والمثاليات من الثقافات السابقة ، والتى تحدد وتشكل طبيعة المجتمع الحالي٠ ومع ذلك فإن مصطلح القراءة والكتابة Literacy ليس قانونا يقرأ من كتب معينة أو مفاهيم تعرف ، وإنما أداة وطريقة قادمة لمعرفة العالم ، ووسيلة للمشاركة بشكل كامل فىالمجتمع.

وتعد القراءة والكتابة عمليتين من عمليات بناء المعنى ، إلا أن الأطفال فى بعض الأحيان يصفون القراءة بأنها نطق الكلمات بشكل صحيح والكتابة بأنها وضع جميع الحروف بشكل منظم ، لكن عندما يطبقون ذلك فإنهم يركزون عل الملامح السطحية فقط للقراءة والكتابة . وفى الواقع فإن

القراء يتوصلون لمعنى الكلمات فىالكتاب الأساس معتمدين على معرفتهم وخبرتهم الذاتية. وبالمثل يقوم الكتّاب بأخذ الأفكار وتنظيمها معتمدين على معرفتهم وخبرتهم الذاتية . وبالمثل يقوم الكتّاب بأخذ الأفكار وتنظيمها معتمدين على معرفتهم بالتهجي والقواعد ليعبروا عنه عن طريق الورق أو على شاشات الحاسب الآلي.

ويعد الوعي الصوتي ، وحل الرموز والقراءة بصوت غير مسموع جزءا من أجزاء القراءة، لكن جوهر القراءة هو خلق وابتكار المعنى٠ وفىالوقت نفسه فإن التهجي والكتابة بخط اليد ، واستخدام الحروف الكبيرة بدقة ، وبشكل صحيح جميعها من أجزاء الكتابة ، ولكن بدون أفكار مهمة للاتصال.

وهنا تظهر مهمة المعلم وقدرته علىأن ينشئ مجتمع فصلي ، يندمج فيه التلاميذ بشكل فعال فى أنشطة القراءة والكتابة٠وفى المجتمع الفصلي تكون الشراكة التى من خلالها يبتكر المعلم وطلابه ، ويعمل الطلاب كعائلة واحدة ، يحترم كل عضو فيها الآخر ، ويشجع كل منهم الآخر ، ويدعمون تعلم بعضهم بعضا.

وقد كتبت "سوزان هبلر Susan Hephler" فى عام ١٩٩١م عن أن التحدي الحقيقي للمعلم هو كيفية بناء نوع من القراءة والتعلم٠ ولذلك أطلق فرانك سميث Frank Smith فى عام ١٩٨٨م على هذه النوعية من الفصول "أندية القراءة والكتابة" ، والتى يشعر فيها كل طالب بنوع من القبول والانتماء ، فلا يوجد أحد مهمل وأنه لا يقرأ مثل ما يقرأ الآخرون ، ويتجاوز التواصل فى الفصل الدراسي إلى ما خلف جدران الفصل أيضا ليشمل المدرسة من الداخل والمجتمع من الخارج٠ ويتزاور الطلاب فى الفصول ، ويتفاعل الأباء مع أبنائهم ويظهرون قيمة ما يقوم به الأبناء ، ويشجعونهم لاستصدار جريدة مدرسية يعرضون من خلالها كتاباتهم ٠ فالطلاب يختارون الكتب التى سيقرؤونها بأنفسهم والأنشطة التى ينغمرون فيها ، ويصبحون مسؤولين عن تعلمهم ، ولقد أشار "دونالد جرافر " Donald Grave فى عام ١٩٩٤م إلىأن طلاب هذه الفصول يحتاجون إلى الفرص ، والأدلة الإرشادية ، والاختيار ، والوقت ، إضافة إلىالالتزام(١٩).

إن الأطفال ـ فى كل أمة ـ يشكلون نصف الحاضر وكل المستقبل ٠ والأمة التى تستطيع أن تبني أطفالها ، وفق أهدافها وتطلعاتها ، هي الأمة التى تستطيع ان تحمي وجودها وتتحكم بمستقبلها ٠ ويسوق الدكتور "زكي نجيب محمود" فى كتابه (هذا العصر وثقافته) تحليلا لبحث يؤكد هذا المعنى، للباحث الأمريكي (ماكيلاند) أستاذ العلاقات الاجتماعية بجامعة "هارفارد"

الذي قام بدراسة عوامل التقدم وعوامل التخلف لدى الشعوب والحضارات المختلفة ، وتوصل إلى نتائج مهمة.

وقد اتبع هذا الباحث فى دراسته منهجا تجريبيا اختار فيه من عصور التاريخ ـ فى شتى أقطار الحضارة الإنسانية ـ فترات ازدهار النشاط الحضاري وأخرى هدأ فيها هذا النشاط أو خمد ، واختار فى كل حالة من الحالات معيارا يقيس به ذلك النشاط الحضاري زيادة ونقصا ، ومن المعايير التى استخدمها هذا الباحث(المادة الدراسية) التى يطالعها الناشئون فى المدارس أو غيرها ، فى الفترة التى تسبق الازدهار ، أو تسبق الخمول ، بنحو عشرين عاما ، وذلك لأن تلاميذ المدارس(الأطفال) هم الذين سيديرون دفة المجتمع فى مناحي الحكم والفكر والتجارة والصناعة والفنون والعلوم والآداب ، وعلى نوع المادة التى تعبأ بها رؤوسهم وهم أطفال ، تكون وجهات أعمالهم وأنظارهم وهم كبار.

لقد اهتم هذا الباحث بعصرنا الحديث بصفة خاصة ، واختار لطائفة من البلاد سنوات ازدهار وسنوات انكماش ، ثم تعقب الأمور إلى أصولها ، فيما كان قد سبق من مادة دراسية طالعها أبناء المدارس قبل الازدهار بمدة كافية أو قبل الانكماش ٠ وقد أجرى بحثه هذا علي أربعين بلدا من بلدان العالم المختلفة ، ليصل إلى نتيجة مرجحة الصواب ، وهي أنه (كلما ازدادت مواد القراءة التى تبعث على الأمل والعمل ، جاءت النتيجة بعد ذلك بنحو عشرين عاما زيادة فى النمو الاقتصادي والعكس كذلك صحيح ، وكان من أهم ما لاحظه الباحث فى مطالعات البلاد التى تقدمت بعد حين أنها احتوت على العلاقات الاجتماعية التى تجعل الفرد يعمل من أجل نفسه ، ومن أجل سواه فى آن معا"أي التى تجعل مصلحة الفرد من خلال مصلحة الجماعة"٠كما كان من أهم ما لاحظه الباحث فى مطالعات البلاد اتى تدهورت بعدئذ أو واصلت طريق التدهور أنها بالغت فى الاشارة بالطرائق التقليدية فى الفكر والسلوك(٢٠).

إن ثقافة الطفل والتى تبنى على قدرته على القراءة الصحيحة والعميقة هي أساس البناء الثقافي لإنسان المستقبل، وتهيئته إلى حد بعيد لأداء دوره فى المجتمع ، وبقدر ما تكون هذه الثقافة سليمة وإيجابية وبانية ، بقدر ما يكون الفرد فى المستقبل إيجابيا وصالحا ومنتجا وسويا.

وتخطيط ثقافة الطفل - اعتمادا على قراءة إبداعية واسعة- وتوفير الوسائل والامكانات اللازمة لتحقيق أهداف الخطط على المستوى الوطني والقومي ومسؤوليته تتحملها كافة الأجهزة الحكومية والأهلية وبالقدر الذي تتسق فيه هذه وتستوفي قيمها وأساليبها يصبح التكوين الثقافي للطفل منطلقا لخلق الطاقات المبدعة ، وإثراء حياته وحياة مجتمعه ، وفى ضوء هذا تصبح أهداف ثقافة الطفل فى مكوناتها الفردية والاجتماعية ، غاية من غايات التخطيط والبرامج الوطنية. كما يصبح التنسيق بين الأجهزة المختلفة حكومية وأهلية ضرورة حتمية لبلوغ هذه الأهداف فى إطار خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى بلاد المنطقة العربية (٢١).

تعتمد عملية تخطيط ثقافة الطفل على أنواع الوسائل والأساليب التى تستخدمها فى مختلف المواقف التى يتفاعل معها الطفل تفاعلا حيا ، تؤثر فى تكوين شخصيته كفرد ، وكمواطن ، وكأنسان ومن هنا فإن مصادر متنوعة ومتعددة ، تبدأ حتى فى البيئة الثقافية للطفل وهو جنين فى بطن أمه وتمتد وتتشعب مع نموه إلى البيت وعلاقاته مع أفراد أسرته ورفاق اللعب ، ثم إلى المدرسة والنادي ، ومؤسسات تربية الأطفال ورعايتهم ، ثم إلى أجهزة الإعلام المختلفة ، وإلى كل ما يمكن أن يتفاعل معه فى ظروف بيئته الطبيعية والاجتماعية (٢٢).

القراءة الإبداعية : يفتقر المناخ التعليمي العربي إلى العناصر الأساسية اللازمة لتنمية القدرات الإبداعية عند الطفل ، وتدل دراسة أجريت فى مصر ، ان من أهم معوقات التفكير الإبداعي فى التعليم قلة الأمكانيات المتاحة للعملية التعليمية مثل ارتفاع كثافة الطلاب فى الفصل الواحد. وقلة الوسائل التعليمية والأجهزة العلمية ، وكذلك الطابع التقليدي للتدريس ، وعدم الاستقلال الذاتي للتلميذ ، وبناء المناهج من حيث طولها ، واعتمادها على الحفظ والتلقين، وبعدها عن التفكير والملاحظة ، وقصور إعداد المعلم وتدريبه واتجاهه الخاطئ نحو التفكير الإبداعي ونحو مهنته ، والروتين الممل الذي يسود العملية التعليمية(٢٣).

إن الإبداع قدرة مكتسبة إلى حد كبير ، وقد يكون الذكاء فى أساسه رهن بعوامل وراثية وخلقية وولادية ، ثم بعد ذلك تدعمه عوامل مكتسبة ، أما الإبداع فإنه غير الذكاء ، إنه ملكة مغايرة مضافة إلى الذكاء ، متعددة المحتويات بدءا من الإبداع التعبيري الذي يتميز بتلقائية

التعبير عند الطفل ، فى بدء حياته ، وتسمو إلى ما يسمى الإبداع الطارئ ، حيث يتم اكتشاف مبدأ جديد أو فرض علمي جديد على أعلى مستوى من التجريد.

إن الإنسان لا يمكن أن يبدع ما لم تتوفر له رؤية حياتية مستقبلية يسعى إلى تحقيقها ، ويتأكد لديه شعور بالانتماء الاجتماعي ، فبعد أن توفر له الشروط التربوية والتعليمية والاجتماعيةالتى تؤهله للإبداع قدر المستطاع ، ستصبح كل هذه الشروط غير ذات موضوع أو ستصبح شروطا عقيمة غير خصبة ما لم تتوفر للإنسان المبدع رؤية اجتماعية.

لماذا يبدع وفيما يبدع ، وكيف يخدم حياة الإنسان والمجتمع ، وأي إنسان وأي مجتمع يستهدفه ؟ معنى هذا ان الإنسان المبدع لن تكتمل مقومات إبداعه كقوة حفازة للتقدم الإنساني والاجتماعي ما لم تتوفر هذه الرؤية المتكاملة، ويتوفر له أيضا وعي بذاته كعنصر اجتماعي تاريخي ، أي كفرد له انتماؤه إلى مجتمع محدد له مشكلاته وتناقضاته وطموحاته وتطلعاته، وله تاريخ وحضارة يعي عناصرها ، ويدرك ما فيهما من سلبيات وإيجابيات حتى يكون إبداعه حلقة ضمن سلسلة تاريخية لحركة التقدم الإنساني والاجتماعي ، ولهذا لن نجد أمة غنية بأبنائها المبدعين إلا امة تعيش كيانها فى حركة شاملة متقدمة ، واعية بذاتها وتاريخها وبأهدافها المستقبلية .

ويؤلف هذا كله ما يمكن تسميته الضمير الاجتماعي للإبداع العلمي ، وإن عزل الإبداع العلمي عن مدلوله الاجتماعي لن ينتج إلا شوكا ، معنى هذا ان على التعليم الذي يستهدف خلق مبدعين أن يعني بشرط أساسي لتوفر الوعي بالذات ، ألا وهو الوعي بالتاريخ الحضاري والثقافي للمجتمع(٢٤).

وينصح علماء المستقبل بإعداد إنسان الغد ، وتثقيفه ثقافة مستقبلية ، وتطوير قدراته الإبداعية للتكيف مع عالم المستقبل سريع التغير ، حتى تتناغم التغيرات فى بنائه النفسي والعقلي مع التغيرات الخارجية ، وإلا فإنه سوف يشعر بالاغتراب عن هذا العالم الجديد ، لأن الفجوة الثقافية سوف تزداد بينهما ، مما يجعله يواجه ما اسماه "توفلر" عام ١٩٧٠م ب(صدمة المستقبل).

كما يؤكد "تورانس" منذ وقت مبكر عام ١٩٦٢م أنه فى عالم الانفجار المعرفي والسكاني حيث تزداد سرعة التغير ، فإن حقائق الماضي غالبا ما تسيء التوجه لحل مشكلات الحاضر والمستقبل ، مما يستلزم من عالمنا المعاصر ان يبحث عن مداخل جديدة للخبرة ، حيث يصبح للتفكير الإبداعي أهمية إجتماعية فى هذا العالم ، كما يضيف أنه إذا أراد الإنسان أن يحيا بالصورة التى يرضاها لنفسه فى عالم الغد ، القرن الحادي والعشرين ، علينا أن نساعد اطفالنا فى أن يحققوا امكاناتهم الإبداعية إلى أقصى درجة ممكنة(٢٥).

وعامة فإن عصر سمته الأساسية أنه عصر العلم والتكنولوجيا ، يصبح الإبداع مطلبا لا مناص منه ، لمن أراد ان يجد لنفسه موقعا متميزا على خريطة عالم يتقدم من خلال وثبات علمية كيفية تتجاوز كل قدرة على التنبؤ ٠ والإبداع فى صميمه تجاوز للمألوف وهذا التجاوز لا يتحقق إلا من خلال مسايرة التيارات الكوكبية التى تنشغل ـ فى كثير من الأحيان ـ بتعليم الطفل باعتباره حجر الزاوية فى المجتمع الكوكبي الجديد ، حيث الأطفال فيه هم قادة المستقبل فى إحداث التغيير المطلوب ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق تعليمه وتدريبه على إنتاج المعرفة ، بدلا من تدريبه على ان يكون مستهلكا للمعرفة .

وإنتاج المعرفة يحتاج إلى إطلاق العنان لخيال أطفالنا ، وقد أصاب "اينشتين " عندما قال "العلم ثمرة الخيال" ، وما نظرية النسبية إلا نتاجا لخيال خصب ممتلئ بالقدرة والإمكانية٠ وعندما نسمح لأطفالنا بالدهشة، التى هي جوهر الإبداع ، ولا نقهر فى داخلهم روح التساؤل ، ولا نضع حدودا لتعطشهم المعرفي ، ولا نحبط داخلهم أي نزوع صوب البحث والتنقيب والاستكشاف ، عندما نفعل ذلك، نكون قد بدأنا بوضع الجذور الجنينية لجيل بمقدوره ان يحدث التغيير الإبداعي المطلوب ولا يتم ذلك إلا بالقراءة الواعية والعميقة أو القراءة الإبداعية.

وثمة مشكلة نعاني منها فى اكتشاف وتنمية مواهب الأطفال الإبداعية هذه المشكلة تكمن فى تعثر الأطفال فى القراءة ، والقراءة في حد ذاتها مصدر خصب للخيال ولإثارة القدرات والإمكانات ، فهل هناك مواصفات خاصة بكتب الأطفال تساعد على سرعة القراءة وإجادتها ؟

يجيب الخبراء عن ذلك : بأن فرصة تعليم القراءة تبدأ فى الصغر ، وتبدأ بالقدرة على فهم الصور ، ومحاولة فهم الكتاب من خلال الصور الموجودة فيه وفهم هذه الصور على أنها لغة قائمة بذاتها ، بمعنى ان يصبح الطفل قادرا على تحويل المعاني الرمزية التى يراها فى الصورة إلى كلمات محسوسة ومفهومة.

فتعلم قراءة الصور تعتبر الخطوة الأولى لتعلم اللغة المكتوبة ، ولذلك يجب تشجيع الأطفال على فك رموز الكتب المصورة ومحاولة فهمها٠ وذلك ـ كما بينه الدكتور محمد إبراهيم عيد (٢٦) ـ يتم عن طريق :

- تشجيع الأطفال منذ الصغر على حب القراءة ، لأن ذلك ضرورة لا مناص منها لإيجاد طفل مولع بالمعرفة.
- وتعتبر اللغة وسيلة تعتمد فى تكوينها على المعاني الرمزية ، لذلك فإن اللغة ليست مجرد كلام بل وسيلة لتحديد العالم الخاص بكل شخص والتعبير عنه ، كما أنها وسيلة للتعبير عن الحقيقة المراد التعبير عنها.
- ثم إن القراءة تنمي إحساس الطفل باللغة وتكسبه القدرة على التعبير عن نفسه ، وهذه الظاهرة إيجابية من شأنها تنمية قدرة الطفل على البحث عن ذاته ، وخلق إحساسا بالرغبة فى التعرف علي الآخرين وكيفية التعامل معهم٠ ومن شان ذلك إكساب الطفل مهارة إقامة حوار مع العالم الخارجي بيسر وسهولة٠ وفى إقامة هذا الحوار مع العالم ومع الآخرين، تتقوى دعائم ثقة الطفل بنفسه ، ويشعر بذاته كهوية فريدة ، ويتعلم كيف يكون عفويا وتلقائيا فى التعبير عن نفسه.
- ولهذا ينبغي أن نعرض الصور على الطفل لنترجم واقعا حقيقيا وتلقائيا يعيشه ، لأنه يستطيع من خلال الخيال أن يستلهم حلولا لمشكلات قائمة بالفعل ، فعنصر الخيال هام جدا فى كتب الأطفال ويؤدي دورا هاما ، ثم إن الأطفال يحبون الحوار ، وعن طريق الحوار يتعلمون ويكتسبون الثقة فى أنفسهم وفى العالم المحيط بهم.

ولعل من أهم ما يميز الأطفال أنهم يعشقون اللغة الرنانة والمنغمة والكلام الموزون والأغاني ولهذا ينبغي أن تكون لغة الكتاب للطفل تحمل هذه المعاني لتجذب الطفل إلى عالم الكلمة المطبوعة الممتلئة خصوبة ومعنى.

ولاننسى أن الكتاب الجيد للطفل هو الذي ينمي سلوكه الاجتماعي ، ويضع له الخطط بالنسبة للحياة والمستقبل ، ويزيده من المعرفة والعلم ، ومن استمتاعه بهذا العالم ، ويضعه على جناح واحد مع عالم الكبار عن طريق اللعب والتخيل ، وينمي لديه القدرة على التخيل ، ويوسع مداركه اللغوية ، ويمكنه من إثارة المشكلات التى تبحث عن حلول غير تقليدية ، وها هو "أينشتين" "يعلمنا كيف يكون الخيال الينبوع الرئيسي لكل علم ولكل معرفة ، مؤكدا ان الأفكار لم تكن تأتيه فى أية صياغة لفظية ، فالفكر كان يأتي أولا ثم يحاول التعبير عنه بالألفاظ والكلمات"(٢٧).

لقد تطور مفهوم القراء خلال القرن العشرين تطورا كبيرا ، فقد كان مقصورا على معرفة نطق الكلمات ، ليشمل فهم الأفكار المتضمنة فى النص المكتوب ، حين يبدأ الاتجاه باستخدام اختبارات القراءة ، التى تقوم على طرح الأسئلة حول فقرات ونصوص قرائية.

وتطور مفهوم القراءة مرة ثالثة نتيجة لأبحاث علمية ارتبطت بغزو الفضاء من نهاية الخمسينات من القرن العشرين ، ونتيجة للإهتمام بحرية التعبير ، والعناية بالمؤسسات والمجالس التي تعكس آراء الشعب عبر قنوات دستورية ، فاتسع مفهوم القراءة ليشمل النقد وإبداء الرأي والاستنتاج والحكم ، وأصبحت القراءة بهذا المفهوم عملية تفكير لا تقف عند استخلاص المعنى من النص ، ولا عند تغيير الرموز وربطها بالخبرة السابقة ، ولا عند التفاعل مع النص ، بل تتعدى ذلك كله إلى حل المشكلات ، وأصبحت عملية عقلية انفعالية واقعية ، تشمل تفسير الرموز والرسوم التى يتلقاها القارئ عن طريق عينيه، وفهم المعاني والربط بين الخبرة السابقة للقارئ وهذه المعاني ، والاستنتاج ، والنقد ، والحكم ، والتذوق ، وحل المشكلات.

ومن المسلمات التى كان يعتقد فى صحتها الكثيرون ، وظلت مقبولة فترة طويلة ، ان الطفل الذي لم يبلغ السادسة من عمره ، ليس فى مقدوره تعلم القراء ، ولا ينبغي له أن يتعلمها ، وأن

العمر المناسب لذلك يمكن أن يحدد بواسطة اختبارات الاستعداد(٢٨) ٠ ولكن بإخضاع هذه المسلمات للتجربة والدراسة بصورة مكثفة فى البلدان الصناعية خلال العقدين الماضيين ثبت انه ليس هناك عمر محدد لتعلم القراءة ، وأن سن السادسة أو السابعة إنما هي حدود اعتباطية ، فالتعلم المبكر لا يضر بصحة الطفل ولا بنموه العقلي ولا بدراسته.

ونتيجة لهذا بدأت حركة نشيطة لمصلحة التعلم المبكر للقراءة ، وأخذت فى الانتشار والاتساع لتشمل الكثير من البلدان(٢٩)٠ وتؤكدالنتائج المستخلصة من كل تلك التجارب أن جميع الأطفال الذين هم دون السادسة من العمر أيا كان وسطهم الاجتماعي أو الاقتصادي أو لغتهم الأم يريدون ، بل يستطيعون تعلم القراء إذا ما وضعوا فى حالة تعلم في بيئة غنية وحافزة(٣٠) .

وإذا كانت القراءة هي الوسيلة التى لا غنى عنها للإنسان ، فهي تثري خبراته وتوسع أفقه، وتربطه بماضي أمته ، وتجعله قادرا علي فهم حاضره ، والتخطيط لمستقبله ، وإذا كانت القراءات الوسيلة لحل المشكلات ، والتغلب على ما يواجهه الإنسان من صعوبات ، حيث تزوده بخبرات الآخرين وتجاربهم فى مواجهة مشكلاتهم ، ومواجهة ما يعترضهم من عقبات فى سبيل تحقيق أهدافهم ، وإذا كانت القراءة وسيلة الإنسان ليعيش بفاعلية فى حياته ، وان من حرم القراءة حرم المشاركة فى الأنشطة الحضارية ، فإننا فى حاجة ملحة إلي ربط القراءة بقدرات التفكير ، وبذلك ننتقل بالقراءة إلى مفهوم جديد ، وليتطور مفهوم القراءة من القراءة الناقدة إلي القراءة الإبداعية.

نحن فى حاجة إلي القراءة الإبداعية ، لا لنجعل القارئ مستوعبا لما يقرأ أو ناقدا ، بل إنها تتعدى ذلك إلى التعمق فى النص المقروء والتوصل إلى علاقات جديدة ، وتوليد فكر جديد ، وحلول متنوعة للمشكلات ، وتطبيق لهذه الحلول ٠ والمقروء يجب أن يكون مصدرا للتفكير ، والتغلب على ضغوط الحياة ، والقراءة هنا لتركيب المعلومات والوصول إلى استنتاجات حقيقية عن الواقع.

ومن هنا يذكر الدكتور "حسن شحاته"(٣١) ما تؤدي إليه القراء الإبداعية من أبعاد معرفية حين يقول:" نحن فى حاجة إلى تدريب الأطفال على طرح الأسئلة حول المعلومات التى لم تذكر فى النص ، وإضافة فكر جديد ، وكتابة عناوين مختلفة لما يقرأ ، وكتابة عدة نهايات لقصة غير مكتملة وذكر جميع الصفات التى يوصف بها شخص ما ، وكتابة حلول متنوعة لإحدى المشكلات ، وتوقع ما يمكن ان يحدث لأحدى شخصيات القصة ، وذكر الأسباب المختلفة لوقوع حدث من الأحداث ، وذكر أكبر عدد من الاستخدامات للأشياء، والتنبؤ من خلال المعلومات المقدمة إليه ، وتوقع الاحتمالات ، وإضافة فكرة إلى محتوى النص ، والإحساس بالصعوبات والمشكلات ، والثغرات فى المعلومات ، والعناصر الناقصة واختبارها ، وإنتاج عدد كبير من الأفكار المرتبطة بالمقروء وانتقال بالتفكير من مجال إلى آخر وإنتاج فكر غير تقليدي.

وصحيح ما يذهب إليه الدكتور "حسن شحاته" فإن تاريخ البشرية يشير إلى ان المبدعين قد قرءوا منذ طفولتهم فاستوعبوا ما قرءوا وتمثلوه ثم أضافوا إليه من ذواتهم ، لذلك فإن تنمية القدرة على الإبداع لدى المتعلمين أمر مرغوب فيه ، لأنها تساعدهم فى مواجهة مشكلاتهم ومشكلات مجتمعهم بكفاءة ، وتطور حياتهم وتنمي الإنتاج ، وتساعدهم على تقديم حلول غير تقليدية للوفاء باحتياجات التنمية ، والمجتمع الحديث فى حاجة إلى إنسان يرقى بتفكيره ليتناغم مع تطوره ، إنسان قارئ يعي متطلبات العصر ويعرف ما عليه وما له ، ويشارك فى حل المشكلات التى تواجه مجتمعه ، ويعمل على انطلاقه وتطوره .

فإذا أردنا معرفة المزيد من المعلومات عن القراءة الإبداعية ، فإننا نجد" تورنس" عام ١٩٧٠م يعرفها بأنها حساسية للمشكلات والتغيرات فى المعلومات والعناصر المفقودة والمتنافرة والأشياء الخطأ والمزعجة ، وتكوين علاقات جديدة ومجموعات مؤتلفة ، وتركيب عناصر متصلة نسبيا فى وحدة كلية مترابطة ، وإعادة تحويل أو تعريف عناصر محددة لاكتشاف استخدامات جدية ، والبناء على ما هو معلوم .

وتعرف"برازل" عام ١٩٧٢م القراءة الإبداعية بأنها إحداث شيء بالمادة المقروءة ، وإعادة تنظيم الإنتاج ، والذهاب إلى ما هو أبعد من المقروء لإبداع شيء جديد ٠ ويعرف

"هاريس وسيبي" عام ١٩٧٥م القراءة الإبداعية بأنها الانطلاق إلى ما هو أبعد من المعاني المفهومة من المادة المقروءة وصولا إلى أفكار جديدة واستنتاجات جديدة .

ويأتي "لوفنون" عام ١٩٧٧م فيعرف القراءة الإبداعية بأنها عملية يولد فيها القارئ علاقات جديدة في المادة المقروءة ، فالقارئ يولد علاقات جديدة من المعلومات الراهنة والخبرات السابقة ، مما يجعله يضيف إلى أفكار المادة المقروءة ، ويحور في المقروء ، ثم يعبر عما يقرأ بأشكال جديدة شعرا أو رسما أو مسرحية ، كما أنه يستخدم الأفكار في مواقف وبطرائق جديدة(٣٢).

ويلاحظ على هذه التعاريف لمفهوم القراءة الإبداعية أنها قد تضم مفاهيم القراءة الاستيعابية والقراءة الناقدة ، وأن بعضها لم يلتفت إلى نوع الناتج الذي تسفر عنه القراءة الإبداعية ومدى تنوعه وأصالته ، وان بعض ما ذكر لا يعتمد على حقائق علمية محددة بقدر ما هو ناتج عن تحليل منطقي لأنشطة القراءة الإبداعية ، وان بعض التعريفات جاءت في ضوء ردرود فعل القارئ المبدع نحو ما يقرأ ، أو أنها جاءت لتوضح العمليات العقلية التى يمر بها القارئ المبدع ، وان بعض التعريفات يتسم بالغموض ، أو تعريف القراءة الإبداعية في ضوء أهدافها ، أو ربط العمليات العقلية والنفسية معا .

وقد اشتركت معظم هذه التعريفات في التركيز على تنوع العمليات العقلية التى يمر بها القارئ ، وأهمية أصالة الأفكار التى يتوصل إليها القارئ ، وتوظيف القارئ المبدع للمادة المقروءة والخبرات السابقة ، وتوضيح ردرود الفعل النفسية التى يعيشها القارئ المبدع مع النص مما يدفعه إلى التفكير بعملياته العقلية المتنوعة لإشباع حاجاته النفسية ، وإن سلوك القارئ المبدع يتضمن إضافة أفكاره السابقة إلى المقروء ، وتوقع احتمالات معينة ، وتحوير المقروء إلى شكل من الأشكال غير المألوفة أو الجديدة ، وتوظيف الأفكار بطريقة فريدة .

وينبغي على القراءة الإبداعية ان تساعد بشكل جوهري على التعلم الذاتي ، فالتلقين يجعل الطفل كائنا انفعاليا معتمدا كل الاعتماد على المعلم والمنهج والكتاب ، في حين ان المطلوب هو أن يتدرج في مراتب العقل ، أي التعلم مستعينا بهذه الأدوات كلها دون ان يكتفي بها أو يستسلم

إليهـا٠ وقـد زادت الحاجـة لهـذا النمـوذج الإبـداعي مـن الـتعلم ، بسـبب كثـرة المعـارف وتشـعب مصادرها وعجز اي جهد تعليمي محدد ، أو أية مرحلة من مراحل العمر استيفائها واستيعابها، وقد صدق من قال بأن المستقبل لن يكون لمن يجهل القراءة والكتابـة ، بـل مـن لـم يحصّـل القـدرة على أن يعلم نفسه ، إن هذه القدرة تنطوي على حب الاستطلاع ، والسعي والممارسـة والمعانـاة، وتنميتها تتأتى بتنقيح هذه المواهب وإخصـابها ، وهـي فـى مقدمـة مـا يجـب ان يتصـدر لـه التعلـيم الصحيح(٣٣).

ومن هنا فالقراءة الإبداعية تنمية للفرد ، وتوسيع لقدرته العقلية وتفكيره ، فالأفكـار الجديـدة التـى يحصـل عليهـا القارئ تساعد على توليد أفكار مبدعة٠ فهو ليس مستقبلا للمعلومـات بقـدر مـا هـو باحـث ومجـرب ومركّب٠ لديـه القـدرة علـى نقد مـا يقـرأ وتقويمـه٠ إنـه قـارئ مفكـر يكتشـف التنـاقض فـى المعلومـات والأسـباب الكامنـة خلـف التنـاقض ، ويصـل إلـى اسـتنتاجات صـحيحة ، ويختار المناسب منها فى حالة من التطـور الـدائم المفيد ، إنـه قـادر علـى التوقـع والحـدس ، قـادر على تشكيل المادة المقروءة ، قادر على تشكيل مادة أكثر ثراء من تلك التى كتبها المؤلف .

والقراءة الإبداعية تجعل القارئ يحس بالعالم المحيط به إحساسا فريدا ، فهـو مسـتغرق فـى قراءتـه مشـارك الأحيـاء والجمـادات فـى أحاسيسـها ومشـاعرها ، أو هكـذا يراهـا بـرؤى خاصـة ، يرى بأذنيه ، ويسمع بعينيه ، ويدرك بقلبه ، ويحس بعقله ، فالتخيل الذي يعيشه أثناء فترة القراءة ، يجعل العالم وأفعاله شيئا حقيقيا وفريدا.

والقراءة الإبداعية تجعل المتعلم يتعمق المشكلات الدراسية ، ويكشف الأسباب ، ويربط بين المؤتلـف ، ويصـنف المختلـف ، ويحّـور ويعدّل ويبّدل فـى المادة الدراسـية ، ممـا يقـوده إلـى أصـالة التفكيـر ، وامـتلاك التعـدد فـى وجهـات النظـر ، فتصـبح لديـه الطلاقـة والمرونـة وأصـالة التفكيـر فيحل مشكلاته ، وكذا مشكلات المجتمع الذي يعيش فية .

والقراءة الإبداعيـة ـ علـى مـا يـذهب إليـه الباحـث(٣٤) ـ نـوع مـن أنـواع السـلوك فـى التفكيـر يمكن أن يعبر عنه بمستوى التركيب عند العالم التربوي ، ففي هذا المستوى يقوم التفكير بعمليـة

تركيب نمط لم يكن معروفا من قبل ٠ وهذا السلوك العقلي يقتضي جمع أجزاء المادة القرائية مع الخبرات السابقة ، وإعادة تركيبها فى كل جديد متكامل .

والقراءة الإبداعية سلوك موجه لتحقيق هدف ، هو الإنتاج أو التركيب الجديد الذي يقوم به القارئ ، والقراءة هي المادة المستخدمة لتدريب العقل على التفكير الإبداعي٠ وبذلك يتعذر فصلها من التفكير ، فالقراءة الإبداعية تتضمن جميع العمليات العقلية العليا من إدراك وتكوين مفهوم ورؤى للعلاقات وعمل استنتاجات ، وإجراء موازنات ، وإحداث تطبيقات ، فالقراءة هي المسبب للتفكير الإبداعي ، فالعقل فى هذا النوع من أنواع القراءة يتحرر ويصبح مولدا للأفكار ، ومبتكرا لها ، حيث يضيف إلى المعاني التى يتضمنها النص المقروء .

وهناك أنواع من الاستراتيجيات التى تساعد على تنمية هذا النوع من القراء الإبداعية ، وعلى رأسها : استراتيجية العصف الذهني ، واستراتيجية طرح الأسئلة ، واستراتيجية التنبؤ القرائي ، وتنويع الحل ، وتنمية التخيل ، وحل المشكلات ، والتعمق والانطلاق ، والتحويل ، والتقمص الشعوري ، والنهايات المتفرعة .إلخ .

وحتى تنجح مثل هذه الاستراتيجيات التربوية ، ينبغي علينا التركيز على "الثقافة التنموية" للطفل ، وهي مجموعة الأفكار والقيم والاتجاهات والسلوكيات التى يجب أن ينشأ الطفل عليها ، حتى يصبح أكثر وعيا وإدراكا لمشاكل مجتمعه ، وأقدر فعلا وإبداعا على تجاوز هذه المشاكل وإيجاد الحلول الإبداعية لمواجهتها ، واستثمار الظروف المتاحة ، لبناء مستقبل حضاري أفضل يسمح لنا بالندية الحضارية الكاملة مع الأمم المستقبلية الأخرى.

كما ينبغي أن نعمق فى نفوس أطفالنا حب العمل ، واستغلال الوقت واستثمار الفرص ، وتبصير الطفل بدوره الاجتماعي واقناعه بأهمية التعاون مع الآخرين ، من أجل تقديم منافع للمجتمع ، وتوضيح هذه المنافع له وتجليتها بشكل واضح ملموس ، يُشعر الطفل بدوره ومردود عطائه عليه وعلى أسرته ومجتمعه(٣٥).

كذلك ينبغي تنشئة الطفل على مهارات عملية مختلفة تشعره بمتعة وقيمة العمل ، وتشجعه على هذه المهارات من خلال مسابقات مدرسية أو تلفزيونية ، وعمل معارض لعرض انتاجات

الأطفال وإبداعاتهم وبيعها وتشجيعها ماديا ، ولا ننسى أن الطفل الصغير يتصف بالتلقائية ، والرغبة فى اقتحام المجهول ، وهو يتعلم من البيئة المحيطة به ، وإذا سمحت له الظروف ، فإنه يستطيع أن يستثمر طاقاته الخلاقة فى سن مبكرة إذا أزيلت من أمامه العقبات .

ويجب أن يتعلم ان الإبداع ليس مقتصرا على الموهوبيين والنخبة من الأطفال ، فكل إنسان يولد وهو مهيأ للتفكير بأسلوب إبداعي ، فالإبداع يمكن توليده ، ويمكن نشره بين الجماهير وتهيئة الأنسان علي العيش وفقا لأسلوب التفكير العلمي والتفكير الناقد ، بتفعيل القدرات الإبداعية ، ومن ثم الإبداع للجميع، الإبداع الجماهيري ، وهذا لن يتحقق إلا إذا بلغنا الوعي بأن (٣٦) الزمن شيء نادر يمكن استثماره ، فالزمن من أهم مقومات الإبداع ، وإهداره إهدار للإمكانات والقدرات والعقل المبدع. ومن خلال بيئة مبدعة يمكن تفجير الإمكانات والقدرات الخبيئة ، إن تفجير ما هو موجود بالقوة فى صلب تكويننا ليكون بالفعل فى واقعنا .

المصادر والهوامش :

- Gibson ,E.nd Levin , H(1983) the psychology of reading, combriding .combridge ,M A : Mitpress.

- ٢ــ د. ليلى كرم الدين : الطفل ما قبل المدرسة والكتاب ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٨م

- ٣ـ دائرة المعارف البريطانية عام ١٩٦٩م . Encyclopedia Britannica (1969) volume 19 .

- 4- Feitelso , Dina.(1983) "Learing to red" in staiger ,R. (CED) the theching of reading paris uncesco .p. 12.

- ٥ـ محمد سالم : هل هناك عمر محدد لتعلم القراءة ، الفيصل العددد ٣٣٥ ، الرياض يويو عام ٢٠٠٤م

- ٦ـ محمد ، عبد الغني إبراهيم : طرق تعليم القراءة ومراحل تعلمها المجلة العربية للتربية ،ج١٤ العدد١ ، ، تونس عام ١٩٩٤م

- ٧ـ انظر دائرة المعارف البريطانية ٠

- 8- Harris Airber j . and malmquis T .Eve j .(1983) Research in reading instaiger R.C.(CED) the Teaching of reading paris unesco ,pp,189.

- ٩ـ د. ليلي كرم الدين : طفل ما قبل المدرسة والكتاب ص ١٣٧

- ١٠ـ البجة ، عبد الفتاح حسن : اصول تدريس العربية بين النظرية والممارسة ، ص ١٩٩ ، عمان دار الفكر للطباعة عام ٢٠٠٠م

- ١١ـ انظر محمد سالم : هل هناك عمر محدد لتعلم القراءة ، الفيصل ص ٧٧ ، ٧٨ ، الرياض

- ١٢ـ السابق ص ٧٩

- ١٣ـ د. ليلي كرم الدين : طفل ما قبل المدرسة٠

- ١٤ـ انظر دراسات عربية أجريت حول الميول القرائية لأطفال المرحلة الأبتدائية والإعدادية من أهمها : د. حسن شحاتة وفيوليت فؤاد عام ١٩٨٦م ومحمد رضوان عام ١٩٨٧م ، ويعقوب الشاروني عام ١٩٨٧م ، ود . ليلي كرم الدين عام ١٩٩٢م

- ١٥ـ د. ليلي كرم الدين ص ١٤٦ ، ١٤٧

- ١٦ـ السابق ص ١٤٧

- 17- Casse literacy 1989 .p. 36

- ١٨ـ محمد سالم : كيف تصبح معلم قراء فعلا ؟ مجلة المعرفة العدد ١١٥ ص ٨٥ ، الرياض نوفمبر ٢٠٠٤م

- ١٩ـ السابق ص ٨٦ ـ ٨٧

- ٢٠ـ د. زكي نجيب محمد : هذا العصر وثقافته ن ص ٨٧ ـ ٩١ دار الشروق ، القاهرة عام ١٩٨٢م

- ٢١ـ نبيلة راشد : مسيرة ثقافة الطفل العربي ، ص ٦٩ ، وانظر د. محمد عماد زكي : تحضير الطفل للعام ٢٠٠٠م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب٠ عام ١٩٩٠م

- ٢٢ـ نبيلة راشد ، السابق ص ٦٨

- ٢٣ـ د. جيهان ابو راشد العمران : التنشئة الاجتماعية والطفل العربي ـ ندوة نحو مستقبل ثقافي أفضل للطفل العربي ص ٢٦ ، القاهرة عام ١٩٨٨م

- ٢٤ـ د. شوقي جلال : غرس التفكير العلمي لدى الأطفال ، المصدر السابق

- ٢٥ـ د. جيهان أبو راشد : التنشئة الاجتماعية ص ٢ ، وانظر د. محمد عماد زكي : تحضير الطفل ص٩٩ ، ١٠٠

- ٢٦ـ د. محمد إبراهيم عيد : الموهبة والإبداع ص ٨٩ ، ٩٠ ، دار المعارف عام ٢٠٠٤م

- ٢٧ـ السابق ص ٩١ ، ٩٢

- ٢٨ـ رانز تيتونة : التعلم المبكر للقراءة ، مجلة مستقبليات ، مكتب اليونسكو ج١٥ ص٣٩ عام ١٩٨٥م

- ٢٩ـ كوهين م راشيل : التعليم المبكر للقراءة ، المجلة العربية للتربية ،تونس ج١٤ العدد١ عام ١٩٨٥م
- ٣٠ـ محمد سالم هل هناك عمر محدد للقراءة ص ٨٠
- ٣١ـ د. حسن شحاتة : القراءة الإبداعية ، ندوة معهد جوتة الإبداع والطفل ، القاهرة عام ١٩٩٥م
- ٣٢ـ السابق ص ٤٨ ، ٥٠
- ٣٣ـ قسطنطين زريق : نحن والمستقبل ، ص ٣٧٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت عام ١٩٧٧م
- ٣٤ـ د. حسن شحاتة : القراءة الإبدعية السابق ٠
- ٣٥ـ د. محمد عماد زكي : تحضير الطفل العربي السابق
- ٣٦ـ د. محمد إبراهيم عيد : الموهب والإبداع ص ٥١